

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

فسح وزارة الإعلام

رقم: ١١٩٣

تاريخ: ١٢/٤/١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و بعد .. فإن انتشار الحفي عنه لا
يسوق القول بجوازه ، والوقوف في المحرم مع
رجاء العفو خير من التسويل للنفس بجوازه ، والقضاء
على الإجماع على تحريمه - ممن وقفت عليه - نحو خمسين
عالمًا ، من سائر المذاهب الفقهية الأربعة ، في ثلاثة عشر
قرنًا ، من سائر البلدان : الجزيرة ومصر والعراق والشام
وتركيا والمغرب والأندلس .. وقول القاضي يمان المالكي
وابن قدامة الحملي ، و حافظ الدين الجزائري و زين الدين
الكرماي الحنفيين وغيرهم بغير مستحق العناء قول مرجوح
وأبعد منه قول من ينص على جوازه ، لتقرر الإجماع على
تحريمه ، وما بين يديك « محاضرة » مترجمة ، ألفتها وكتبها
أحمد الدفاضل ، والخطأ وارد ، والعفو مأمول .
وبالله التوفيق .

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن هادي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله قد خلق الإنسان على أحسن تقويم، وجعل له السمع والبصر، وجعل له الفؤاد، وجعل كل ذلك مسؤولاً عنه يوم القيامة، ومن نظر إلى خلقه الذي أمره الله بأن يتفكر فيه؛ وجد عجباً من عظيم خلق الله عز وجل، وحسن صنعه، وتمام إبداعه.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١)

[الذاريات: ٢١].

السمع والبصر هما أعظم الحواس التي خلق الله الإنسان عليها، ومن أعظم نعم الله عليه.

يقول الله في كتابه العظيم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢).

من نظر إلى هذه الآية، وتأملها، وجد فيها من المعاني العظيمة، من تقديم السمع على البصر، وأنها من أعظم

النعم التي يستوعب فيها الإنسان دين الله، ويدرك فيها تشريعہ.

نعمۃ السمع ذكر الله سبحانه وتعالى السمع والبصر في (تسعة عشر) موضعاً من كتابه الكريم، وقدّم السمع على البصر في (سبعة عشر) موضعاً، مما يدل على مكانة السمع، وجلالة قدره، وعِظَم نعمته على سائر النعم التي وهبها الإنسان، ومن لطائف تقديم السمع على البصر في كلام الله، ما ذكره أهل الطب أن سمع الإنسان يتكون تكويناً تاماً قبل البصر، وهذا تظهر الحكمة فيه من تقديم السمع على البصر، وذلك أن الإنسان بسمعه يكون من أهل التكليف بالجملة، وينفذ إلى عقله وقلبه الأحكام الشرعية والتكاليف.

والأعمى أقل الناس ضرراً في دينه وأكثر ضرراً في دنياه، وأحسن الناس عاقبة يوم القيامة من أهل الأضرار في الحواس، ومن فقد السمع فإنه أقلهما ضرراً في دنياه، وأقلهما نفعاً في دينه، وذلك أنه بالسمع يفقه التشريع، ويكون من أهل التكليف والامتثال، ولذلك كان السمع بالمقام المحمود في خلقه الإنسان، والإنسان رزق الصوت الحسن، وأعطى سمعاً يتلذذ بالحسن وينعم به، يقول الله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

قال ابن جرير الطبري: في تفسيره عند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

إنه حُسْنُ الصوت، مما يتلذذ به الإنسان من جميل القول.

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى المنطق وحُسْنَ المقال، باعتبار وصوله إلى المسامع، فلا يمدح القول إلا لأنه مسموع، ولذلك امتدح الله الصوت الحسن وذم المنكر منه، واستنكر الله صوت الحمير: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

مما يدل على أن ثمة أصواتاً حسنة تشنّف بها الأسماع وتتلذذ بها، وهو من نعيم أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرّوم: ١٥].

جاء في التفسير: أنه السماع، كما روى ابن جرير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: السماع.

وكان من فطرة الإنسان أن يتلذذ بالصوت الحسن الجميل، وهذا من الطّباع التي لا ينكرها أحد، فإن الطفل يأنس بصوت حسن يتلذذ به.

وكما أنه في بني آدم، فإنه في البهائم، فإن الرجل إنما تشد في مسيرها إذا كان صاحبها من أهل الهداء الحسن، وهذا معلوم.

ولذلك يقول ابن عُلَيَّة: كنت أمشي مع الإمام الشافعي رحمته الله فسمعنا صوتاً فمِلنا إليه، فقال لي: أيطربك هذا؟ قلت: لا، قال: مالك! حسن.

وفي معناه أشعار الهداء في السفر كقولهم في طريق مكة:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَا

غَدَا تَرَيْنِ الطَّلَحَ وَالْحَبَالَا

وقد أمر الرسول ﷺ بتحسين الصوت بالقرآن، فقال «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

وقال ﷺ كما في الصحيح: «ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنَّى بالقرآن يجهر به».

وقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

ولذلك اتفق العلماء قاطبة: أن تحسين الصوت من المستحبات، بل قال بعضهم بوجوبه، لظاهر قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

ذهب جماهير العلماء - ممن نص على تأويل هذا الخبر - إلى أن المراد بالتغني هنا: تحسين الصوت.
قال الإمام الشافعي - فيما رواه عنه الربيع - : (المراد بذلك تحسين الصوت بالقراءة).

قال ابن عيينة: أن المراد بذلك الاستغناء بالقرآن عن غيره من المعاني. وصوب ذلك أبو عبيد الله بن سلام في وجهه.

وكلها لها وجه في لغة العرب، والأظهر والمشهور أن المراد بذلك تحسين الصوت، وظاهره يعضده قوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وأما حمله على الاستغناء، فقد استنكره الإمام الشافعي ﷺ فقال: أما قول النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

لو كان على الاستغناء لكان يقول: ليس منا من لم يتغن.

وقيل: إنهما يحملان على الوجهين، كما نص عليه أبو عبيد القاسم بن سلام.

وقد استدل بعضهم بقول الأعشى:

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْعِرَاقِ
عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغْنِ

أي : الاستغناء عن الناس وعدم الحاجة إليهم.
وما زال العرب في الجاهلية والإسلام يستحبون الشعر
وإنشاده - وحتى أصحاب رسول الله ﷺ ويتلذذون بذلك ،
وقد روى البيهقي في سننه بإسناد حسن عن أبي سلمة
بن عبد الرحمن قال : (كان أصحاب رسول الله ﷺ رجالاً
يقولون الشعر، ويتلذذون به، فإذا أُريدَ أحدٌ منهم على دينه
دارت حماليق عينيه)

وذلك أنهم إنما كان يغضبهم فاحش القول والبذيء
منه، وما يخرج عن الطباع من الطرب وغيره.

معنى الغناء ومن نظر إلى لغة العرب واستعمالهم للغناء وجد أنهم
عند العرب يريدون به الشعر، والكلام المسجوع، فيسمونه غناءً.

يقول حميد بن ثور:

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا
فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا

وذلك أن الغناء هو ما خرج من الفم مجرداً، ولا يلحق
به غيره، فإن خرج مع المنطق، وسُمِعَ غيره من آلات

اللهو، لم يكن من الغناء المجرد.

ولذلك يسمى (الحداء) و(الشعر) و(الكلام المسجوع) وكله من الغناء، إذا حسن الصوت به، ويظهر هذا في قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

وفي قوله ﷺ: «ما أذنَ الله لشيء أذنه لنبي أن يتغنَّ بالقرآن».

أي: يحسن صوته به، وجلُّ القرآن مسجوع، ولذلك دخل في هذا الباب.

ومن نظر إلى النصوص من أفعال الصحابة، وكذلك أشعار العرب، وجد أنهم يطلقون الغناء ويريدون به الشعر والحدا، حتى أشكل ذلك على كثير من المتأخرين، وظنوا أن ما يطلق من أقوالهم يراد به الغناء باصطلاح المتأخرين، وهذا غاية الجهل وسوء الفهم، فإن هذا لم يكن عندهم مطلقاً.

وقد طرأ سوء الفهم عند بعضهم في إطلاقات بعض السلف، وما جاء في النصوص من كلام النبي ﷺ، وكلام الصحابة عند بعض الأئمة من الفقهاء، ولذلك؛ لما ذكر ابن رجب رحمه الله في «ذيل طبقات الحنابلة» عند ترجمته لعبد الرحمن بن نجم الشيرازي المشهور بـ (ابن الحنبلي) وهو

خلط بعض
المؤخرين في
فهم حقيقة
الغناء

من كبار الفقهاء في مذهب الإمام أحمد، حتى لما قديم إلى ابن قدامة عليه في العام الذي توفي فيه، قال له ابن قدامة: لقد سررت بمقدمك، فإني خشيت أن أموت فيقع وهنٌ بالمذهب ويقع الخلافُ بالأصحاب.

لما استشكل وخلط بين الغناء والحداء - أي الغناء الذي وقع عند المتأخرين وبين الحداء الذي جاء عن بعض السلف والصحابة وغيرهم - وكتب ابن الحنبلي في ذلك كتاباً عتف عليه ابن قدامة بقوله: (وشرع بالاستدلال بمدح الغناء بذكر الحداء، وهذا صنيع من لا يفرق بين الحداء والغناء ولا قول الشعر على أي وجه كان، ومن كان هذا صنيعه فليس أهلاً للفتيا).

والذي قال هذا القول هو نفسه الذي قد ذكر في كتابه «المغني» أن الغناء محلٌ خلاف عند العلماء من الأصحاب، فأَيُّ غناءٍ أراد؟

الجواب: أراد الحداء، فإنه قبل وفاته بعام قد شنع على ابن الحنبلي وذكر اتفاق العلماء على تحريم الغناء.

قال الإمام ابن الجوزي: «كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد، إلا أنهم كانوا يُلحّنونها».

ولذا قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع:

الغناء يفطر الصائم، فقال: ما تقول في بيت عمر بن أبي ربيعة إذ أنشد:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ
غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمَهْجَرُ!
أيفطر الصائم؟

قال: لا. قال: إنما هو أن أمد به صوتي، وأحرك به رأسي.

وانظر إلى قول عطاء بن أبي رباح، قال: لا بأس بالغناء والحداء للمحرم.

ومن نظر إلى النصوص من الكتاب والسنة، وكذلك ما جاء عن الصحابة وجد أنه ينبغي أن يفهم الوحي بلغة العرب الفصيحة، مما لم يدخلها عجمة أو لحن.

ولذلك استنكر ابن قدامة على من خلط بين هذا وهذا، وجعله ليس أهلاً للفتيا.

ولم يظهر الغناء باستعمال آلات الطرب واللهو إلا في أواخر القرن الثالث.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة؛ لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا في المغرب ولا في

خرسان عند أهل الصلاح، وأهل الزهادة، وأهل العبادة الاجتماع على مثل المكاء والتَّضْدِية، إنما نشأ ذلك في أواخر المائة الثانية).

ولذلك يُعلم أن ما يطلق من أقوال بعض الصحابة وأشعار العرب من ذكر الغناء، فالمراد به الأشعار، وما يسمى في وقتنا بالأناشيد.

وقد نص على هذا التعريف غير واحد من الأئمة؛ من أئمة اللغة وغيرهم؛ كأبي عبيد القاسم بن سلام، بل نص عليه الإمام الشافعي، ويأتي الكلام عليه بإذن الله.

والمراد من ذلك أنه ينبغي أن يُفرَّق بين اصطلاح أهل العصر واصطلاح الأوائل، وإن كان اللفظ واحداً، ويشمل عند التنظير في اللغة كلا الأمرين، لكنّه لا بد من النظر لظاهر الحال، وما يُطلق عليه ذلك الاستعمال وما اقترن به.

ولذلك لما ظهر الغناء في مصر، من نحو أربعين سنة، واحتج بعضهم ببعض الألفاظ التي جاءت عن بعض السلف، من ذكر الغناء، والمراد به الألحان والحداء وأمثاله المجردة، واستدلوا بتلك النقول، قال الغماري - وهو من علماء المغرب - : (حتى إبليس داخل في إجماع

العقلاء على حرمة ذلك).

أي: أن ما فعله أولئك بعيد عما نُقِلَ عن الصحابة والتابعين من ذلك اللفظ، ولذلك وقع اللبس عند كثير ممن غلب عليه هواه، وعند قلة ممن ينتسب إلى العلم. وقد جعل ابن قدامة رحمته الله من خلط بين هذه المفاهيم ليس أهلاً للفتيا.

ومن نظر إلى الأدلة من الكتاب والسنة وجد أن الله الأدلة من سبحانه وتعالى قد نص في غير ما آية على حرمة الغناء القرآن على واللهو، وقد جاءت في ذلك آيات كثيرة، وذلك صيانة تحريم الغناء للقلب، وحماية له من مداخل الشيطان.

وقد حرّمة الله على عباده بمكة، وهذا يدل على عظم خطر الغناء، وأثره على العباد.

وقد أنزل الله تحريمه في سورة النجم وفي سورة لقمان وهما سورتان مكيتان.

يقول الله في كتابة العظيم: ﴿وَمَنْ أُلَاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

وهذا في سورة لقمان وهي سورة مكية.

من نظر إلى تأويل السلف من الصحابة وغيرهم؛ وجد أن ثمة اتفاقاً على أن الغناء داخل في جملة المعاني التي

أهمية تفسير
الصحابة

تأتي على هذه الآية، واتفقت تفاسير الصحابة على هذا.
يقول الحاكم في «مستدركه»: في أوائل كتابه التفسير:
(وتفسير الصحابي الذي شهد الوحي هو عند الشيخين -
يعني البخاري ومسلم - كالحديث المسند).

وقال في موضع آخر: (إنه في حكم المرفوع).

وقد روى ابن جرير الطبري والبيهقي في «سننه» وغيرهم
من حديث سعيد بن جبير عن أبي الصهباء عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه أنه قال في تأويل هذه الآية: (والله الذي لا
إله إلا هو إن لهو الحديث لهو الغناء) ثم ذكرها ثلاثاً.

وابن مسعود من أعلم الصحابة بالتفسير، إن لم يكن
أعلمهم على الإطلاق.

وروى البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن مسلم
عن مسروق عن عبد الله قال: «والذي لا إله غيره ما من
كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا
أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله
مني تبلغه الإبل لركبت إليه».

بل قال مجاهد بن جبر إمام المفسرين من التابعين،
ومن قد عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، كما
روى الترمذي بسند صحيح عن سفيان بن عيينة عن

الأعمش قال: قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج إلى أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت.

كيف وقد أقسم - مع ذلك - ابن مسعود على هذا التفسير، وهو يتلو: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وجاء ذلك عن عبد الله بن عباس، كما رواه البخاري في «الأدب المفرد» وابن جرير الطبري، وكذلك ابن أبي شيبة وغيرهم، من حديث عطاء عن سعيد بن جبيرة عن عبد الله بن عباس قال: «نزلت في الغناء وأشباهه».

وروي تأويل ذلك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث رواه ابن جرير الطبري من حديث قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: «هو الغناء».

وكذلك رواه ابن جرير الطبري من حديث ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أنه قال: «هو الغناء».

وروي تفسير ذلك بـ (أنه الغناء) عن جماعة من السلف من المفسرين وغيرهم.

فقد روي تفسير ذلك عن مكحول وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وسعيد بن جبيرة وميمون بن مهران وعمر

ابن شعيب وعلي بن بزيمة وعن غيرهم، كلهم قالوا (إنه الغناء).

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة النجم: ﴿أَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُ ۖ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠].

السمود هو: اللهو بالغناء، كما جاء تفسيره عن عبد الله ابن عباس كما رواه ابن جرير الطبري من حديث عكرمة عن عبد الله بن عباس قال: «السمود هو الغناء».

وجاء تفسيره أيضاً عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس كما رواه ابن جرير الطبري من حديث سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عكرمة أنه قال: (السمود هو الغناء في لغة حِمِير) أي: لغة أهل اليمن.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم مخاطباً إبليس اللعين: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قد جاء عن غير واحد من المفسرين من السلف أن المراد بصوت إبليس هو الغناء.

فقد روى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر كلهم في «التفسير» من حديث ليث بن أبي سليم عن مجاهد بن جبر أنه قال: إن صوت إبليس «هو الغناء».

وقد يشكل على البعض الاستدلال بهذا الأثر وفي

إسناده (ليث بن أبي سليم) ؟

فيقال إن ليث بن أبي سليم وإن كان ضعيفاً بالاتفاق إلا أن روايته عن مجاهد بن جبر في التفسير خاصة صحيحة، وذلك أن ليث بن أبي سليم ضعيفٌ من قِبَل حفظه، ولكنه يحدث عن مجاهد بن جبر من كتاب، كما نص على ذلك ابن حبان في «الثقات» وفي «مشاهير علماء الأمصار» قال: (ما سمع التفسير عن مجاهد أحد غير القاسم بن أبي بزة، نظر الحكم بن عتيبة وليث بن أبي سليم وابن نجيح وابن جريج وابن عيينة في كتاب القاسم ونسخوه، ثم دلسوه عن مجاهد.

إذاً فقد ائتمن من جهة روايته من حفظه، فإنه يروي من كتاب.

ومن ضعف هذا الأثر فقد وَهَمَ وَعَلِطَ، وليس له معرفة بمناهج الأئمة النقاد.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: إن المراد بالزور هنا هو الغناء.

فقد روي ذلك عن مجاهد بن جبر - إمام أهل التفسير من التابعين - كما رواه بن جرير الطبري من حديث محمد